العدد 10 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية تموز 2025
No. 10 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences July 2025
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

فلسفة النفي عند باشلار

م.د مها نادر عبد محسن الغرابي
جامعة الكوفة – كلية التربية للبنات / قسم العلوم التربوية والنفسية

الملخص

يعتبر غاستون باشلار " ت 1962" من أهم الفلاسفة الفرنسيين في العصر الحديث، والذي تميز بوضع أسس ومنطلقات وقواعد جديدة لفلسفة العلم تتجاوز اطر ومقولات الفلسفة المادية " الوضعية" والمثالية، وقد بقيت فلسفته مثار جدل ليس في الاوساط الاكاديمية الفرنسية وحدها، بل في الدوائر الاوربية، واعتبرت تلك المساهمات المتعلقة بفلسفة العلم ذات توجهات جديدة ومبتكرة، حملت معها اعادة نظر جديدة لمفهوم الواقع والحقيقة والمعرفة العلمية. وبالرغم من ان غاستون باشلار له اسهامات مهمة في حقول معرفية متعددة لا تنتمي لحقل فلسفة العلم كدراسته عن التحليل النفسي، ودراسته عن الزمن وجماليات المكان، الا ان اضافته الحقيقية تبقى في توجهاته الفلسفية الخاصة لفلسفة العلم، والتي كان يريد من ورائها بناء عقل علمي جديد. يمكن تلخيص اهم النتائج التي توصل اليها البحث بما يلي:

اولاً : ان فلسفة النفي عند باشلار هي توجه جديد في دراسة تاريخ العلم ذات اسس ومنطلقات منهجية تحاول تأسيس اتجاه جديد في مجال فلسفة العلم المعاصر، وهذه الفلسفة في غايتها واهدافها تحاول الاجابة على سؤال مركزي واساسي هو كيف تتأسس النظرية العلمية هل من خلال التراكم ام القطيعة مع اصول ومحددات تراث العلم نفسه ؟ وباشلار يذهب في فلسفة النفي انه لم يمكن لنا استئناف حركة التطور والتجديد في المجال العلمي، الا بالقيام بخلق قطيعة مع المعرفة السابقة وذلك بمنهج جديد يمهد لنا تأسيس معرفة جديدة ومغايرة، لذلك فأن فلسفة النفي هي في حقيقتها فلسفة في منهج جديد يعيد تعريف العقل والمعرفة والواقع بمنظور علمي جديد . **ثانياً :** ان اهم الاسس النظرية التي تقوم عليها فلسفة النفي عند غاستون باشلار هو رفض باشلار لمبادئ العقل الديكارتي خصوصاً ما يتعلق بمفهوم الوضح والبداهة، كذلك رفضه للمنهج الواحد الذي دعا اليه ديكارت باعتباره مبني على قواعد عقل متفق على معايره، ودعا من خلال فلسفته الى ان لكل علم مفاهيمه ومنهجه الذي يتناسب مع المرحلة التي يظهر فيها، كذلك من الاسس النظرية في فلسفة النفي عند باشلار هو رفضه للمنطق التقليدي " الارسطي" ودعوته من خلال فلسفته الى منطق جديد يعيد تعريف مفهوم الحقيقة والواقع ومفهوم الحتمية والهوية على اسس الاحتمال والنسبية. **ثالثاً :** ان فلسفة النفي عند باشلار تقوم في توجهاتها واهدافها العامة على دراسة الشروط التي بمقتضاها نصل الى انتاج المعارف العلمية، وهو يدعوا الى بناء عقل فلسفي علمي جديد لا تهيمن عليه النظريات والمذاهب الفلسفية العقلية ولا الواقعية، كذلك فأن توجهات هذه الفلسفة هي بطبيعتها مرنه ومنفتحة على كل تحول يحدث في داخل دائرة العلم نفسه، وهي فلسفة في العلم تبتعد عن الانساق المغلقة التي لا تقبل المراجعة لأسسها النظرية.

الكلمات المفتاحية : فلسفة النفي ،الاسس النظرية ، العلم ، المعرفة ، العقلانية

Philosophy of Negation in Bachelard

L.Dr. Maha Nader Abdul Mohsen Al-Gharabi
University of Kufa - College of Education for Girls / Department of Educational and Psychological Sciences

Abstract

Gaston Bachelard "d. 1962" is considered one of the most important French philosophers in the modern era, who was distinguished by establishing new foundations, starting points and rules for the philosophy of science that go beyond the frameworks and categories of materialist philosophy "positivism" and idealism. His philosophy remained a source of controversy not only in French academic circles, but also in European circles, and those contributions related to the philosophy of science were considered to have new and innovative

orientations, carrying with them a new reconsideration of the concept of reality, truth and scientific knowledge. Although Gaston Bachelard has important contributions in various fields of knowledge that do not belong to the field of philosophy of science, such as his study of psychoanalysis, and his study of time and the aesthetics of space, his real addition remains in his special philosophical orientations for the philosophy of science, through which he wanted to build a new scientific mind. The most important results reached by the research can be summarized as follows:

First: Bachelard's philosophy of negation is a new trend in the study of the history of science with methodological foundations and starting points that attempt to establish a new trend in the field of contemporary philosophy of science. This philosophy, in its goal and objectives, attempts to answer a central and fundamental question: How is scientific theory established? Is it through accumulation or a break with the origins and determinants of the heritage of science itself? Bachelard argues in his philosophy of negation that we cannot resume the movement of development and renewal in the scientific field except by creating a break with previous knowledge through a new method that paves the way for us to establish new and different knowledge. Therefore, the philosophy of negation is in fact a philosophy in a new method that redefines reason, knowledge, and reality from a new scientific perspective. Second: The most important theoretical foundations on which Gaston Bachelard’s philosophy of negation is based is Bachelard’s rejection of the principles of Cartesian reason, especially with regard to the concept of clarity and self-evidentness, as well as his rejection of the single method advocated by Descartes, considering it to be based on the rules of reason whose standards are agreed upon. Through his philosophy, he called for each science to have its own concepts and method that are appropriate to the stage in which it appears. Also, one of the theoretical foundations in Bachelard’s philosophy of negation is his rejection of traditional “Aristotelian” logic and his call through his philosophy for a new logic that redefines the concept of truth and reality and the concept of inevitability and identity on the basis of probability and relativity. Third: Bachelard's philosophy of negation is based in its general orientations and goals on studying the conditions by which we reach the production of scientific knowledge. He calls for building a new scientific philosophical mind that is not dominated by rational or realistic philosophical theories and doctrines. Likewise, the orientations of this philosophy are by nature flexible and open to every transformation that occurs within the circle of science itself. It is a philosophy of science that moves away from closed systems that do not accept review of their theoretical foundations.

Keywords: Philosophy of negation, theoretical foundations, science, knowledge, rationality

المقدمة

يعتبر غاستون باشلار " ت 1962" من أهم الفلاسفة الفرنسيين في العصر الحديث، والذي تميز بوضع أسس ومنطلقات وقواعد جديدة لفلسفة العلم تتجاوز اطر ومقولات الفلسفة المادية " الوضعية" والمثالية، وقد بقيت فلسفته مثار جدل ليس في الاوساط الاكاديمية الفرنسية وحدها، بل في الدوائر الاوربية، واعتبرت تلك المساهمات المتعلقة بفلسفة العلم ذات توجهات جديدة ومبتكرة، حملت معها اعادة نظر جديدة لمفهوم الواقع والحقيقة والمعرفة العلمية.

وبالرغم من ان غاستون باشلار له اسهامات مهمة في حقول معرفية متعددة لا تنتمي لحقل فلسفة العلم كدراسته عن التحليل النفسي، ودراسته عن الزمن وجماليات المكان، الا ان اضافته الحقيقية تبقى في توجهاته الفلسفية الخاصة لفلسفة العلم، والتي كان يريد من ورائها بناء عقل علمي جديد.

ان من بين اهم الدوافع والاسباب التي كانت وراء اختيارنا لموضوع " فلسفة النفي عند باشلار" تكمن في الوقوف عند اهم اتجاه اشتغل عليه غاستون باشلار في سياق تأسيسه لرؤية فلسفية جديدة لفلسفة العلم، بالإضافة الى التعرف على اهمية ابعاد هذه الفلسفة وتأثيرها في نظريات فلسفة العلم الحديثة والمعاصرة.

ولقد جاءت خطة هذا البحث **بمبحثين وخاتمة** . **فالمبحث الاول** والذي جاء بعنوان " **الاسس النظرية لفلسفة النفي عند باشلار** " عالجنا من خلاله اهم الاسس النظرية التي تقوم عليها فلسفة النفي عنده، والتي على اساسها شكلت مرحلة متقدمة في فلسفة العلم الحديثة.

اما **المبحث الثاني** والذي جاء بعنوان" **خصائص وسمات فلسفة النفي عند باشلار**" فتوقفنا فيها عند رصد اهم الخصائص والسمات التي تميزن بها هذه الفلسفة واختلافها عن غيرها من ناحية الرؤية والمنهج الفلسفي.

اما من ناحية **منهجية البحث** فلقد اعتمدنا على معطيات المنهج الوصفي في عرض معالم وابعاد وأسس وخصائص فلسفة النفي عند غاستون باشلار .

اما بخصوص **المصادر والمراجع**، فلقد كانت الاولوية للنصوص الفلسفية لغاستون باشلار واهمها كتابة " **فلسفة الرفض**" وكتابة " **فكر العلمي الجديد**" ، كما اعتمدنا ايضاً على قسم من المصادر التي عالجت قضايا واشكاليات فلسفة العلم بشكل عام ومن اهمها " **فلسفة العلم في القرن العشرين** " ليمنى طريف الخولي و " **نظريات العلم** " الان شال مرز و "**نظرية المعرفة العلمية** " لماهر عبد القادر.

واخيراً .. لا يسعني الا تقديم الشكر والامتنان الى الاستاذ الدكتور" **حسين حمزة شهيد** "، والذي لولا توجهاته، وآرائه السديدة ما كان لهذا البحث ان ينجز .. فله مني كل الشكر والامتنان والتقدير .

وختاماً... فأن غنى اطروحات غاستون باشلار الفلسفية ومحاولة اعادة تأسيسه لبنية عقل علمي جديد تبقى من الصعوبة بمكان الاحاطة بمنطلقاتها في حدود مثل هذا البحث، لكنني حاولة جهدي المتواضع ان اقف عند المعالم العامة لفلسفة النفي عنده والتي تندرج توجهاتها الفلسفية في مشروعه الاساسي في اعادة تكوين العقل العلمي الغربي، فعسى ان اكون قد وفقت في هذا الجانب من التعريف بأبعاد هذه الفلسفة .. ومن الله التوفيق .

الباحثة

مدخل :

يعتبر غاستون باشلار من اهم فلاسفة العلم[1] في القرن العشرين، وهو صاحب نظرية علمية / فلسفية في كيفية الوصول الى استحداث وبناء معرفة علمية جديدة قائمة على مفهوم " القطيعة" مع تراث العلم نفسه،

(1) للاطلاع على تحولات واتجاهات فلسفة العلم بشكل عام .... ينظر: يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، الاصول، الحصاد، الافاق المستقبلية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت ، العدد 264 ، 2000،ص 20 -50 ؛ الفن توفلر ، حضارة الموجة الثالثة ، ترجمة عصام الشيخ جاسم ، دار الجماهيرية للنشر ، ليبيا ، 1993 ، ص30- 65؛ الان شال مرز، نظريات العلم، ترجمة الحسين سحبان وفؤاد الصفا، دار تبوقال للنشر، المغرب، 1997، ص18-38 ؛ ماهر عبد القادر، نظرية المعرفة العلمية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان ، 1985، ص17- 32 ؛ فؤاد زكريا ، التفكير العلمي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، العدد 3 ، 1978، ص10- 48.

ورغم تعدد اسهامات غاستون باشلار في حقول ومجالات معرفية متعددة[1]، الا ان الصفة المميزة والتي اعطته مكانه حقيقية في التوجهات الفلسفية الحديثة والمعاصرة هو مشروعه في اعادة بناء العقل العلمي الغربي على اساس ما دعاه بـ " فلسفة النفي" وهو توجه فلسفي له قواعده واصوله التي نظر لها، واعاد تطبيق مفاعيلها النظرية في العديد من اسهاماته الفلسفية[2].

وفي سياق معالجتنا في هذا البحث لا بعاد ومحددات فلسفة النفي عند غاستون باشلار ، سنحاول اولاً التوقف عند معرفة اهم الاسس النظرية التي بنا عليها غاستون باشلار فلسفته، ومن ثم ثانياً التوقف عند اهم الخصائص والسمات التي ميزت فلسفة النفي عند غاستون باشلار[3].

المبحث الاول
الاسس النظرية لفلسفة النفي عند باشلار

ينتمي غاستون باشلار " ت 1962" الى تلك المدرسة التي تتبنى الموقف الانفصالي الثوري من مسالة كيفية تطور العلم والنظريات العلمية و " يرى رواد هذه المدرسة ان تقدم العلم يتم عبر سلسلة من التحولات أو الثورات التي تحدث أحياناً دون روابط داخلية، وعبر انفصالات جذرية وقطائع بين ماضي العلم وحاضره، وتوصف هذه النظرية الثورية بأنها الأحدث زمنياً، والأكثر راديكالية من الناحية الإبيستيمولوجية، على تفاوت بين اعلامها في حدود القطيعة ونوعها، واختلاف في الرؤية والأسس الفلسفية "[4].

لقد "ادرك باشلار طبيعة أزمة الوضعية الجديدة، والنزعة الشكلية المنطقية؛ ومن حاول استحداث فلسفة جديدة تتسق مع الروح العلمية الجديدة؛ أي روح العلم غير الكلاسي، وسمى مذهبه الجديد العقلانية التطبيقية ، والعقلانية الجدلية ، والعقلانية التقنية، وتتميز مؤلفاته بقيمتها الكبيرة في تحليل العلم الحديث ودوره في المجتمع، وقد طبعت كتبه أكثر من ثلاثين طبعة، ولا تزال يعاد طبعها حتى الآن، ويرى باشلار أن الروح العلمية الجديدة نشأت مع ميلاد الثورتين العلميتين الحديثتين ؛ وهما نسبية أينشتين وميكانيكا الكم عند ماكس بلانك"[5].

ان غاستون باشلار قد رفض " ما ذهبت اليه الوضعية ابتداء من أوجست كونت، ورأية عن المراحل الثلاث للتطور؛ وهو الرأي الذي حاول به كونت تفسير تاريخ نشوء وتطور المعرفة، وبنى رفضه على أساس أن الخاصية الأساسية لمذهب كونت هي الاستمرارية، بينما تاريخ العلوم في رأيه يتطور وفقاً لخاصية الاستمرارية، علاوة على انه يخضع كذلك لمبدأ الانقطاع أو الانفصال بين المراحل المختلفة التي يمر بها العلم في تطوره، وأن العقل العلمي يرقى ويتطور عبر هذه المراحل، ولهذا انتقد باشلار الرأي القائل بأن تاريخ الفكر بشكل عام، وتاريخ العلم بشكل خاص، يتسم بالاستمرارية؛ إذ إن هذا يعني أن العقل

---

(1) من بين اهم اسهامات غاستون باشلار خارج دائرة فلسفة العلم هي:
– غاستون باشلار، جدلية الزمن، ترجمة خليل احمد خليل ، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1984.

-غاستون باشلار ، جماليات المكان ، ترجمة غالب هلسه ، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1985.

(2)من اهم اسهامات غاستون باشلار في مجال اعادة بناء العقل العلمي على أسس ورؤية فلسفية جديدة ، ينظر : غاستون باشلار ، العقلانية التطبيقية، ترجمة بسام الهاشم، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1984 ، ص15، 35؛ غاستون باشلار ، تكوين العقل العلمي، مساهمة في التحليل النفساني للمعرفة الموضوعية " ، ترجمة خليل احمد خليل، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1982، ص13-25 .

(3)غاستون باشلار، فلسفة الرفض" مبحث فلسفي في العقل العلمي الجديد" ، ترجمة خليل احمد خليل ، دار الحداثة ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1985 ، ص 18.

(4)امبارك حامدي، التراث وإشكالية القطيعة في الفكر الحداثي المغاربي" بحث في مواقف الجابري وأركون والعروي " ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، 2017، ص 42-43.

(5)شوقي جلال ، على طريقة توما كون" رؤية نقدية لفلسفة تاريخ العلم في ضوء نظرية توماس كون " د.ط، القاهرة، د،ت، ص91.

يظل هو ذاته عبر كل مراحل تطوره؛ ومن ثم يصبح التاريخ تكراراً عقيماً، ويضع باشلار مفهومين أساسيين يفسر بهما نشأة المعرفة العلمية وتطورها؛ وهما مفهوم القطيعة المعرفية، وفهوم العقبة المعرفية، ويكون المفهومان معاً جدل تاريخ العلم عند باشلار، ويعني بالعقبة المعرفية المكبوتات الفعالة، ويناظر بينهما وبين اللاشعور عند فرويد الذي يؤثر في سلوك الانسان، وفي اختيارات وتوجهات الباحث "[1].

اما من حيث اهم الاسس النظرية التي بنا عليها باشلار فلسفته التي اتخذت موقف الرفض للسائد من المعارف الفلسفية في عصره بغية التوصل الى بناء تصور جديد لفلسفة للعلم منفتحة على الواقع والحقيقة والمعرفة العلمية .. فيمكن تلخيصها بما يلي:

اولاً : رفض نظرية المعرفة والمنهج عند ديكارت :-

نتيجة لإيمان غاستون باشلار بأنه لم يتم تأسيس نظري فلسفي جديد، الا بتجاوز الانماط والتصورات السابقة في التفكير لذلك " رفض باشلار مبادئ العقل الديكارتية، ورأى مثلاً ان البداهة والوضوح اللذين تحدث عنهما ديكارت وهميان، بل اعتبر أن المعرفة الجديدة انما تصدم البداهة، وتتم بالرغم منها، مثلما ان التجربة العلمية الجدية إنما تولد خارج التجربة المباشرة وبالرغم منها "[2].

وفي مثل هذا السياق يذهب باشلار الى القول " ان كل امر حاسم لا يولد الا بالرغم، وهذا الرأي صحيح في عالم الفكر وفي عالم العمل على قدر سواء ، وكل حقيقة جديدة انما تولد بالرغم من البداهة، وكل تجربة جديد تولد بالرغم من التجربة المباشرة "[3].

اما بالنسبة للمنهج الذي بنا عليه باشلار فلسفته فأنه " يرفض العقل الشمولي والمنهج الصالح لكل العلوم ويؤكد أن لكل علم منهجه ومفاهيمه التي تناسب مرحلة ما من مراحل تقدمه؛ وأن تطور العلوم مرتبط بقدرتها على ابداع مناهج ونظريات خاصة بها؛ وأن المناهج نسبية وقطاعية، مشدداً على معنى النسبية"[4].

ان فلسفة الرفض عند باشلار مبنية على مفهوم العقلانية التطبيقية، ولذلك يقول باشلار ودفعاً لكل التباس يمكن ان يثيره مفهوم النفي نفسه انه " يلزمنا دون انقطاع التذكير بأن فلسفة الرفض ليست مذهباً سلبياً من الوجهة النفسانية، وانها لا تؤدي في مواجهة الطبيعة الى مذهب عدمي، إنما تنطلق، بخلاف ذلك، في داخلنا وفي خارجنا، من نشاط بناء، وتزعم ان العقل العامل هو عامل تطور، فالتفكر الجيد بالواقع معناه الافادة من شبهاته لتطوير الفكر وتحذيره، وإن محاولة الفكر معناها زيادة الضمانة لا نشاء ظواهر تامة علمياً، ولتجديد كل المتغايرات المنحطة أو المختنقة التي كان العلم، شيمة الفكر الساذج البسيط، قد تجاهلها في دراسته الاولى "[5].

ثانياً : رفض المنطق التقليدي " الارسطي" :-

يعتبر باشلار أن المنطق التقليدي قائم على مبادئ مطلقة، ويهتم بصورة الفكر دون مضمونه ومحتوياته، فمبدأ الهوية مثلاً يناسب مفاهيم الفيزياء النيوتنية المتقوقعة بدورها في المكان الاقليدي المطلق، أما موضوع العلم المعاصر فيتموضع في هندسة لا إقليدية وبمفاهيم لانيوتنية ووفق منطق لا ارسطي ... ويبدو باشلار متأثراً في هذا الموقف بمقال أوليفر ريزر المنطقي اللاأرسطي وأزمة العلم 1937، والذي

(1)شوقي جلال ، على طريقة توما كون" رؤية نقدية لفلسفة تاريخ العلم في ضوء نظرية توماس كون ، المصدر السابق ، 91-92.
(2) امبارك حامدي، التراث وإشكالية القطيعة في الفكر الحداثي المغاربي" بحث في مواقف الجابري وأركون والعروي "، المصدر السابق، ص 53.
(3)غاستون باشلار، الفكر العلمي الجديد، ترجمة عادل العوا ، مراجعة عبدالله عبد الدائم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1983، ص10.
(4) امبارك حامدي، التراث وإشكالية القطيعة في الفكر الحداثي المغاربي" بحث في مواقف الجابري وأركون والعروي "، المصدر السابق، ص 54.
(5) امبارك حامدي، التراث وإشكالية القطيعة في الفكر الحداثي المغاربي" بحث في مواقف الجابري وأركون والعروي "، المصدر المصدر السابق، ص 54.

بين فيه أن مبدأ الهوية فقد أهميته لأن الموضوع العلمي يمكن أن يتحقق بخصائص اختبارية متعاكسة فـ لويس دي بروي اعتبر الالكترون ذا طبيعة جسمية وموجية في ان معاً "[1].

اما علاقة المنطق الجديد الذي يدعو إليه باشلار بالمنطق الارسطي فهي علاقة تجاوز دون الحكم على هذا الأخير منهما بالتهافت، اذ يظل صحيحاً في حدود المرحلة قبل العلمية وفق التقسيم الباشلاري "[2].

ثالثاً : بناء معرفة علمية تتجاوز رؤية الفيلسوف والعالم:-

يبدو ان من بين محددات الاسس النظرية التي تقوم عليها فلسفة النفي عند غاستون باشلار هو بمحاولة ابتعادها عن منظومة الانساق الفلسفية عند الفيلسوف، وحدود النظرة الوضعية الضيقة لفلسفة العلم عند الوضعيين، ولذلك يطالب باشلار الجميع سواء كانوا فلاسفة ام علماء بتقديم تنازلات، ويقصد بها الابتعاد عن المواقف المتشددة حول مفهوم المعرفة والحقيقة والواقع، وذلك لبناء فلسفة علمية تؤمن بالاحتمال والنسبية، فيقول بشأن الفلاسفة " سنطالب الفلاسفة بحق تزويدنا بعناصر فلسفية منفصلة عن المنظومات التي ولدت في داخلها، ففي بعض الأحيان تكون القوة الفلسفية لمنظومة ما منصبة على وظيفة خاصة، فلماذا التردد في تقديم هذه الوظيفة الخاصة الى الفكر العلمي الذي يحتاج كثيراً الى مبادئ إعلامية فلسفية؟ وهل هناك، مثلاً ، تدنيس في اتخاذ جهاز معلومي " ابيستمولوجي" رائع كالمقولة الكانطية، وفي تبيان فائدتها واهميتها بالنسبة الى تنظيم الفكر العلمي؟ إذا كانت انتقائية الغايات تشوش، دون وجه حق، جميع المنظومات فيبدو ان انتقائية الوسائل تكون مقبولة في فلسفة للعلوم تريد تواجه كل مهمات الفكر العلمي، وترغب في الاحاطة بمختلف الانماط النظرية، وتريد ان تقيس مدى تطبيقاتها، وتريد قبل كل شيء أن تشدد على طرائق الاكتشاف الأشد تبايناً، حتى ولو كانت من الطرائق الأشد مجازفة"[3].

كذلك على الفيلسوف بنظر باشلار" الاقلاع عن الطموح لايجاد وجهة نظرة وحيدة ووجهة نظر ثابته لكي يحكموا على علم بمجمله بالغ الاتساع وبالغ التبدل كالفيزياء وعندئذ سنتوصل الى تمييز فلسفة العلوم من تعددية فلسفية قادرة وحدها على مدنا بمعلومات عن عناصر الاختبار والنظرية، العناصر البالغة التنوع والابتعاد عن كونها جميعاً تنتمي الى درجة واحدة من النضج الفلسفي، سوف نحدد فلسفة العلوم بأنها مشتتة، فلسفة موزعة، وبخلاف ذلك سيتراءى لنا الفكر العلمي بوصفة طريقة تشتيت شديدة الانتظام، بوصفة طريقة تحليلية بالغة الدقة، بالمفارقة مع شتى الوحدات الفلسفية المجمعة بتكدس شديد داخل المنظومات الفلسفية"[4].

اما بالنسبة الى العلماء فباشلار يطالبهم " بحق امالة العلم مؤقتاً عن عمله الوضعي، عن ارادته الموضوعية، لكي نكتشف ما يتبقى من ذاتي في الطرائق الأشد صرامة، وسنبدأ بطرح اسئلة على العلماء، اسئلة ذات مظهر نفساني، وشيئاً فشيئاً سنبين لهذا المظهر ان كل علم نفس متضامن مع مصادرات غيبية، ويمكن للعقل ان يبدل الغيبية، لكنه لا يستطيع الاستغناء عن الغيبية اذاً، سنسأل العلماء: كيف تفكرون، ما هي متاهاتكم، مباحثكم، اخطاؤوكم؟ وبأي دافع تبدلون رأيكم؟ ولماذا تظلون شديدي الايجاز عندما تتكلمون عن الشروط النفسانية لبحث جديد؟ اعطونا، بشكل خاص، افكاركم الغامضة، تناقضاتكم ، افكاركم الثابتة، اقتناعاتكم التي لا دليل عليها، يجعل منكم واقعيين، فهل من المؤكد حقاً أن هذه الفلسفة العريضة بدون تناسق، بدون ثنائية، بدون تراتب، تتوافق مع تنوع افكاركم، مع حرية فرضياتكم"[5].

ان هذه الاسس النظرية قد انتهت بباشلار الى " القول بفلسفة مخصوصة، وظيفتها دراسة الشروط الممكنة لإنتاج المعارف العلمية، وذلك بمعرفة القيم الحقيقية للعلم، وهكذا يمكنها أن تستقل عن المباحث الفلسفية التقليدية التي وصفها بالانغلاق والجمود والاستغلال السيئ لنتائج العلم من أجل اثبات فروضها ومسبقاتها،

(1) المصدر نفسه، ص 54.
(2) المصدر نفسه، ص 54.
(3)غاستون باشلار، فلسفة الرفض" مبحث فلسفي في العقل العلمي الجديد" ، المصدر السابق ، ص 13-14.
(4)غاستون باشلار، فلسفة الرفض" مبحث فلسفي في العقل العلمي الجديد" ، المصدر السابق ، ص 13-14.
(5)المصدر نفسه ، ص 14-15.

في حين أن الفكر العلمي منفتح ومتطور على الدوام، وبناء على ذلك فهو يرى أن لا فلسفات عقلية مطلقة ولا فلسفات واقعية يمكن أن تهيمن على فلسفة العلم وتكون قادرة على تفسير كل ظواهره" [1].
كذلك يرفض باشلار " الموقف الفلسفي العام الذي يحكم على الفكر العلمي، لأن لحظة الفلسفة تلي لحظة العمل العلمي، ولما كانت خاصية هذا هي عدم الاكتمال دوماً، فإن خاصية تلك هي الهشاشة والانفتاح والمرونة"[2].
وعلى هذا الاساس " يؤكد باشلار أن ما يصيب العلم من انقلابات وتحولات أو قطائع ينعكس او ينبغي أن ينعكس مباشرة في الفلسفة المرتبطة به بوصفها وعي عقل يتأسس وهو يعمل على المجهول"[3].
هذا الامر يعني ان باشلار ينتهي " الى تميز فلسفة العلم التي يدعو إليها بخاصيات تقابل تلك الفلسفات التي يرفضها، فيضع تخطي الأصول مقابل الثبات، والانفتاح مقابل الانغلاق، والتعدد مقابل الواحدية، والنقص مقابل الكمال"[4].

المبحث الثاني
خصائص وسمات فلسفة النفي عند باشلار

يمكن القول ان اهم السمات والخصائص الجوهرية التي تميز ابعاد فلسفة النفي عند باشلار ما يلي:
اولاً : ان فلسفة النفي وكما يقول باشلار لا تعبر عن " ارادة سالبة لا تنطلق من تناقض يعارض دون ادلة ، ويثير جدالات فارغة وغامضة، وهي لا تتهرب منهجياً من قاعدة، إنها، خلافاً لذلك كله، وفية للقواعد داخل منظومة واعده، انها لا تسلم بالتناقض الداخلي، ولا تنكر أي شيء كان بمعزل عن الأين والكيف، بل تستولد من سياقات محددة جيداً الحركة الاستدلالية التي تميزها والتي تعين اعادة تنظيم العلم على قاعدة واسعة " [5].
ثانياً : لا تستند فلسفة النفي عند باشلار على أية قبليات سابقة، ولذلك فهي " لا علاقة لفلسفة الرفض بأية جدلية قبلية، مسبقة، وهي جهة خاص لا يمكنها التجمد ابداً حول الجدليات الهيغلية ، وهذا ما سار الية ك. بيالوبرجسكي بكل وضوح فبنظره يتميز جدل العلم المعاصر تميزاً جلياً عن الجدليات الفلسفية، لانه ليس بناءً قبلياً ولأنه يترجم المسيرة التي ينهجها العقل في معرفة الطبيعة، فالجدل الفلسفي، جدل هيغل مثلاً، ينطلق تعارضياً من الأطروحة ونقيضها ومن صهرها في مفهوم أرقى للتوليف "[6].
هذا الامر يعني عند باشلار ان " عقلانيتنا الفوقية تصنع فقط منظومات عقلانية متراكبة، ولا يفيدنا الجدل الا في تناول نظمه عقلانية من خلال نظمة عقلانية فوقية اكثر دقة، بالغ الدقة، انه لا يفيدنا إلا في الانزلاق من نظمه الى اخرى "[7].
ثالثاً : ان فلسفة النفي عند باشلار " لا تستهدف سوى منظومات متراكبة، منظومات تقف عند نقطة دقيقة في علاقة تكاملية، انما تعني اولاً بعدم انكار شيئين في وقت واحد، فهي لا تثق البتة في تماسك نفيين/ رفضين، اذن لا يمكن لفلسفة الرفض الانحياز الى رأي نوفالي الساذج بكليته كما تتسلسل المعارف كلها، تتسلسل أيضاً جميع اللامعارف، فمن يستطيع انشاء علم، يتوجب عليه ايضاً التمكن من انشاء لا علم، ومن يستطيع جعل شيء ما قابلاً للفهم، يتوجب عليه ايضاً جعله غير قابل للفهم ، ومن واجب المعلم التمكن من انتاج العلم والجهل"[8].

---

(1)امبارك حامدي، التراث وإشكالية القطيعة في الفكر الحداثي المغاربي" بحث في مواقف الجابري وأركون والعروي " ، المصدر السابق، ص 56.
(2)المصدر نفسه ، ص 56.
(3)المصدر نفسه ، ص 56.
(4)المصدر نفسه ، ص 56.
(5)غاستون باشلار، فلسفة الرفض" مبحث فلسفي في العقل العلمي الجديد" ، المصدر السابق ، ص 153.
(6) المصدر نفسه ، ص 153-154 .

(7)غاستون باشلار، فلسفة الرفض" مبحث فلسفي في العقل العلمي الجديد" ، المصدر السابق ، ص 155.
(8)المصدر نفسه ، ص 155.

رابعاً : ان فلسفة الرفض عند غاستون باشلار تعيد وبمنهج تركيبي طرائق الاستدلال الفلسفية " اذن لا مناص من صهر التصورات الجزئية والتموجية في أرقى تطبيقاتها واستعمالاتها، واذا كان الصهر جيداً، واذا تم بوسائل فلسفة الرفض، فسنرى على الأثر وبسهولة كبيرة لماذا كان التصوران لا يتصادمان في استعمالاتهما المضخمة، إلا أن هذا الاتحاد بين النظريات المتعاكسة لا يمكنه ان يتم الا من خلال تعديل الطرائق الاستدلالية الاولية التي كانت تعتبر طبيعية لأنها لم تكن تخضع للتطوير، وحتى يكون للمعرفة كامل فعاليتها يلزم الان تحول العقل، يتوجب على العقل أن يتحول في جذوره واصوله لكي يتمكن من الاستيعاب على مستوى براعمه، حتى أن شروط وحدة حياة العقل ذاتها تفرض تنويعاً في حياة العقل، وطفرة انسانية عميقة[1].

الخاتمة

يمكن تلخيص اهم النتائج التي توصل اليها البحث بما يلي:

اولاً : ان فلسفة النفي عند باشلار هي توجه جديد في دراسة تاريخ العلم ذات اسس ومنطلقات منهجية تحاول تأسيس اتجاه جديد في مجال فلسفة العلم المعاصر، وهذه الفلسفة في غايتها واهدافها تحاول الاجابة على سؤال مركزي واساسي هو كيف تتأسس النظرية العلمية هل من خلال التراكم ام القطيعة مع اصول ومحددات تراث العلم نفسه ؟ وباشلار يذهب في فلسفة النفي انه لم يمكن لنا استئناف حركة التطور والتجديد في المجال العلمي، الا بالقيام بخلق قطيعة مع المعرفة السابقة وذلك بمنهج جديد يمهد لنا تأسيس معرفة جديدة ومغايرة، لذلك فأن فلسفة النفي هي في حقيقتها فلسفة في منهج جديد يعيد تعريف العقل والمعرفة والواقع بمنظور علمي جديد .

ثانياً : ان اهم الاسس النظرية التي تقوم عليها فلسفة النفي عند غاستون باشلار هو رفض باشلار لمبادئ العقل الديكارتي خصوصاً ما يتعلق بمفهوم الوضح والبداهة، كذلك رفضه للمنهج الواحد الذي دعا اليه ديكارت باعتباره مبني على قواعد عقل متفق على معايره، ودعا من خلال فلسفته الى ان لكل علم مفاهيمه ومنهجه الذي يتناسب مع المرحلة التي يظهر فيها، كذلك من الاسس النظرية في فلسفة النفي عند باشلار هو رفضه للمنطق التقليدي " الارسطي" ودعوته من خلال فلسفته الى منطق جديد يعيد تعريف مفهوم الحقيقة والواقع ومفهوم الحتمية والهوية على اسس الاحتمال والنسبية.

ثالثاً : ان فلسفة النفي عند باشلار تقوم في توجهاتها واهدافها العامة على دراسة الشروط التي بمقتضاها نصل الى انتاج المعارف العلمية، وهو يدعوا الى بناء عقل فلسفي علمي جديد لا تهيمن عليه النظريات والمذاهب الفلسفية العقلية ولا الواقعية، كذلك فأن توجهات هذه الفلسفة هي بطبيعتها مرنه ومنفتحة على كل تحول يحدث في داخل دائرة العلم نفسه، وهي فلسفة في العلم تبتعد عن الانساق المغلقة التي لا تقبل المراجعة لأسسها النظرية.

المصادر والمراجع

1- الان شال مرز، نظريات العلم، ترجمة الحسين سحبان وفؤاد الصفا، دار تبوقال للنشر، المغرب، 1997.

2- غاستون باشلار ، العقلانية التطبيقية، ترجمة بسام الهاشم، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1984 .

3- ــــــــــــــــــــ ، تكوين العقل العلمي، مساهمة في التحليل النفساني للمعرفة الموضوعية " ، ترجمة خليل احمد خليل، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1982.

4- ــــــــــــــــــــ ، جماليات المكان ، ترجمة غالب هلسه ، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1985.

5- ــــــــــــــــــــ، جدلية الزمن، ترجمة خليل احمد خليل ، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1984.

(1)غاستون باشلار، فلسفة الرفض" مبحث فلسفي في العقل العلمي الجديد" ، المصدر السابق ، ص 162.

6- ـــــــــــــــــــــــــــ، فلسفة الرفض" مبحث فلسفي في العقل العلمي الجديد" ، ترجمة خليل احمد خليل ، دار الحداثة ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1985.
7- الفن توفلر ، حضارة الموجة الثالثة ، ترجمة عصام الشيخ جاسم ، دار الجماهيرية للنشر ، ليبيا ، 1993 .
8- فؤاد زكريا ، التفكير العلمي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، العدد 3 ، 1978.
9- ماهر عبد القادر، نظرية المعرفة العلمية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان ، 1985
10- يمني طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، الاصول، الحصاد، الافاق المستقبلية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت ، العدد 264 ، 2000.